أسطورة الصحافة العراقية

جمال العتابي

ابو كاطع (شمران الياسري)، كان صديقا ورفيقا برغم فارق العمر بيني وبينه، عملت بصحبة عدد من الشباب في «طريق الشعب» وكان بيننا و بينه فارق في العمر، الا انه كان يميل الى هذه المجموعة من الشباب، وجدنا فيه اشياء كثيرة، عنفوان و اندفاع شبابي ومزاج ثائر ضد التقليد والجمود لذلك كان يعيش أجواء الشباب الصاخبة و المشاكسة حتى ضمن السياقات العامة الموجودة في الجريدة آنذاك، وكان قريبا الينا ونحن ايضا، فالودّ والمحبة كنا نكنها لهذه الشخصية المثيرة للإعجاب، فهو رجل يكتنز وعيا كاملا لدوره و مهمته وانتمائه الوطني والسياسي والحزبي والمهني / الحرفي. كان فريدا ومتميزا تماما في هذه المواصفات. عرفته بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كإذاعي في احد البرامج الذي أثار انتباه المستمعين، وقبل ان يبدأ بكتابة عموده المعنون (بصراحة ابو كاطع)، لما يطرحه من قيم وأفكار مهمة وحساسة، مطلبية وضرورية وملحة، كان يمثل ضمير الشارع العراقي بفلاحيه وعماله ومثقفيه برغم استخدامه اللهجة الشعبية احيانا، لذلك استطاع ان يستقطب ويكسب جمهورا واسعا من المستمعين لحيوية مواضيعه وسخونتها، فهو ساخر وجاد في الوقت نفسه اذ يجمع النقيضين معا، الا انه موضوعي ولم يؤلب و يشهر ويشتم ويهاجم، بل كان يضع يده على الجرح تماما، هذا الجرح الذي تلبس العراقيين طويلا. انتقل الى المدينة بعد ان عاش تجربة الريف بكل تفاصيلها، تجربة حية منحته القدرة الهائلة ووفرت له هذا الخزين من الموروث الشعبي للحياة الريفية، تمكن من تسخيره بمضامينه الانسانية و الايجابية لموضوع ثقافي وحضاري، وبلغة سهلة وبسيطة. انتقل «ابو كاطع» الى العمل الصحفي في الكتابة بدءاً في مجلة» الثقافة الجديدة» واتذكر انه عندما دخل الى غرفة تحرير «الثقافة الجديدة» كان يرتدي زيه الريفي، عمل مديرا لتحرير مجلة «الثقافة الجديدة»، وكتب عمود (بصراحة ابو كاطع) وكان العمود ملاذا للقراء وكانت آنذاك تصدر بثماني صفحات، لكن هذه الجريدة بصفحاتها القليلة كانت غنية مكتنزة مدهشة مكتظة بالمعلومة والفكر والمادة والخبر، لذلك تقدمت بل فاقت كل الصحف التي تصدر في تلك المرحلة انتشاراً واقتناءً، ولعمود «ابو كاطع» سبب اساسي في هذا الانتشار وكان جمهور واسع من القراء حريص على ان يقرأ الجريدة من الصفحة فيها «بصراحة ابو كاطع»، فاستطاع ان يحقق رصيدا مهما بين القراء ليس في اوساط الفلاحين باعتباره يكتب بلغة ريفية انما المثقفين ايضا ، فالكل كان يتابع هذا العمود، وبذلك كانت لديه القدرة الكاملة على توظيف هذا الموروث الذي اختزنه في تحريك الوسط السياسي والثقافي، فعمل على كتابة هذا العمود بلغة بين الفصحى والشعبية، وتمكن بأداء ومهارة وكفاءة من خلق مدرسة خاصة بكتابة العمود الصحفي، وبطريقة لم نألفها سابقا ولم تتكرر ولايمكن حسب اعتقادي بهذه الخصوصية التي امتلكها ان تتكرر مرة اخرى، وكل ما كتب او حاول البعض تقليده كان تقليدا ممسوخا فاشلا. غالبا ما كان يصعّد من سخونة الاجواء السياسية بصادمه المعلن مع (الحزب الحليف) الذي كان يرأس الحكم وقتها وكثيرا ما كانت كتاباته تتسبب باشكالات وتقاطعات مع السلطة الحاكمة. كان «ابو كاطع «حريصا على ان ينشر مادته كما هي ولا يسمح بشطب شيء مما يكتب وكان يقبل بعدم نشر عموده لكنه لا يسمح ومن غير المقبول لديه ان يقوم احد زملائه في الجريدة بشطب شيء من عموده، وكان هناك كتّاب مهمّون في الجريدة ومنهم رشدي العامل ويوسف الصائغ وعدد كبير من الاسماء المهمة في الصحافة العراقية، لكنهم لم يمتلكوا هذه القدرة التي مكنته من ان يحظى بثقة و متابعة القراء. واستطاع ان يكتب رواية مهمة و معروفة هي (رباعية ابو كاطع) واعتقد ان هذا تأسيس لأدب جديد تمكن منه في هذا الزمان، للاسف الشديد اقول انه اختار الغربة والمنفى القسري بعد معاناة مع ازلام النظام القمعي ورحل في مغتربه وهو لم يكمل تجربته الابداعية والروائية. كان مشروع «ابو كاطع « كبيرا ومهما للمشهد الثقافي العراقي، ونحتاج الى دراسة كتاباته في مجال العمود الصحفي والرواية، والى الان لم تظهر أي دراسة بهذا الخصوص ربما كانت هناك كتابات هنا وهناك لكن الحاجة ماسة الى دراسة بحثية وأكاديمية تستطيع ان تمنهج ما قدمه، ليدرسها طلاب كلية الاعلام وقسم الصحافة.

هل تجرؤ كلية الإعلام على تدريس تجربة «أبو كاطع»؟

ناجح المعموري

عرفته في «طريق الشعب» خلال فترة السبعينيات وانا اتابع مواد المكتب الصحفي في بابل والفرات الاوسط، وكنت اخذ قسطا من الراحة في القسم الثقافي، لاتفرغ لقراءة القصص المرسلة الى ثقافية الطريق، حيث اجد الصديقين العزيزين، المرحوم غانم الدباغ وفهد الاسدي قد فرغا من تقييم القصص وكنت متوافقا معهم في ملاحظاتهم حول صلاحيات النصوص ، لكن المرحوم (ابو كاطع) لم يكن ياخذ بالملاحظات فقط لاسباب سياسية ، وضوابط العلاقة مع (الحلفاء) واتذكر في يوم من الايام قدمت قصة لي اسمها [صباح الخير ايتها الغابة] حازت على تزكية الصديقين، وعندما قرأها المرحوم (ابو كاطع) وضعها في جرار منضدته، ولحظة دخولي الى غرفته في يوم خميس، لأني كنت احضر اجتماع صفحة مرحباً يا اطفال مع العزيزين عدنان حسين والمرحوم مؤيد نعمة. استقبلني «ابو كاطع» ضاحكا وهو يقول : القصة جيدة وممتازة وعلى الرغم من المحاولة الترميزية الواضحة، تظل القصة طافحة بالجنس، اعتذر عن نشرها ولم اقل له شيئا واكتفيت بالصمت. لكنه بادرني بضحكته المعهودة قائلا : لم يستطع الرمز التكتم على الاتصال الذي بين الفتاة والحصان، وهي مثيرة. والقصة محاولة لاعادة انتاج لوحة تشكيلية للفنانة سعاد العطار التي حاولت التمويه على اشجارِ الغابة التي تحولت كلها رموزاً ذكورية وفتاة وسط الغابة تمتطي حصاناً. استلمت القصة وقدمتها للصديق (سامي محمد) الذي كان مشرفا على ثقافية» الفكر الجديد» ، وبعد اكثر من اسبوع سألته عن القصة فقال لي : تحفظ «ابو كاطع» على نشرها، استلمت القصة مع تخطيط لها نفذه الاخ الفنان د. مجيد حميد وما زلت احتفظ بهما حتى الان. عرفت مثلما عرف غيري من الذين عملوا في «طريق الشعب» والمكاتب الحزبية بان ما ينشره «ابو كاطع» في عموده المعروف (بصراحة «ابو كاطع") كان يثير من الاشكالات السياسية مع «الحلفاء» الذين كانوا يقراون ما يكتب بدقة وبعدسات مكبرة وتحليل ما يقول بوصفه موقفا ضدهم. وكان يتوقف احياناً عن كتابة عمودهِ المشهور جداً، لكنه يقدم افكاراً للفنان مؤيد نعمة يرسمها كاريكتيريا ويحدد له التعليق كذلك. ليس في بغداد فقط وانما في المحافظات ايضا. واقترح « ابو كاطع» كاريكتيرا (يتضمن برميل أزبال ممتلئ، تساقط منه الكثير على الرصيف واعتلت قطة سطح البرميل وقريبا منها، وقف رجل ضبط انفه بقراصة امساك الملابس على الحبال وكان التعليق :وصلت جيفته لأبو موزة). وبعد نشر الكاريكتير مع التعليق قامت الدنيا ولم تقعد. تميزت شخصية المرحوم «ابو كاطع « الصحفية. بخصائص أسلوبية وفنية لم تعرفها حتى الان الصحافة العراقية، على الرغم من ظهور العمود الصحفي الساخر بين حين واخر لكن «ابو كاطع» تميز بإمكانات ، قادرة على تطويع الرأي الجمعي بلغة سهلة وبناء متماسك وتوظيف للغة العامية التي ميزته تماما حتى في رواياته. انه مكتشف المفردة العامية «النيرة» حسب مصطلح دانتي وظل-يخترق بها ومن خلالها جدران الدكتاتورية. واعرف المئات من القراء والمثقفين يبدأون قراءة «طريق الشعب» ابتداءمن بصراحة«ابو كاطع» التي أسست نوعا من العمود الصحفي الذي دائما ما يتحول الى مقالٍ من طراز فريد، وكنت اراه هادئاً وكثير المرح وهو يطلق تصريحاته الرمزية واقول مع نفسي : كيف يتحول هذا العملاق الهادئ الرصين الى مقاتل عبر لغته، وأية امكانات تمتع بها وانفرد عن غيره بخصائصه المميزة له. كان رحمه الله صوتاً مدوياً ومحرضاً واعتقد بان مغادرته للعراق اسبابها مختصرة بما كان يكتبه. تحية الى شمران الياسري وخلف الدواح الصوت الشعبي للانسان العراقي، وهل تجرؤ كلية الاعلام

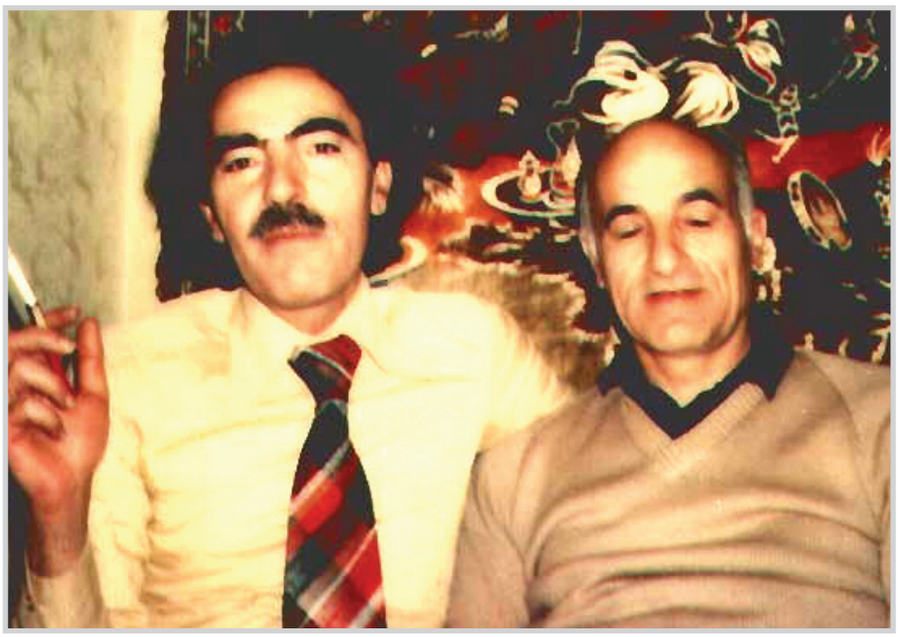

صبـــاح الخيـــر يا شمران

جمعة اللامي

صباح المحبة والجمال
والربيع والشعر
والقصب والمنائر
والمنافي والمتنبي
والجواهري.. يا أيها
العزيز!
في هذا الصباح،
سأحمل وردة حمراء،
إلى مكان في هذا
الخليج المكابر، فأنا
لا أعرف مكان قبرك،
فأغرس ساقها الأخضر
في صخرة جلمود،
وسوف تتفتح مسامات
تلك الصخرة، وتستقبل
وردتك الحمراء ضاحكة،
لأن الجماد الأصم يعرفك،
فكيف بالشجر والبحر
والفصول الأربعة..؟
وعندما.. يمر عليَّ
صيادو الشارقة وعجمان
ورأس الخيمة والناس
المتعبين في هذا الساحل
العربي، ويرون الصخرة
الجلمود تتضوع عبيراً
ساحراً، اذ تتعرف على
وردتك، سأقول لهم: من
يعرف شمران لا فكاك له
عن الحب!وفي المساء
سأوقد الشموع!
سأجمع أولادي الأربعة،
وأحكي لهم قصة عمهم،
تلك الأسطورة الإنسانية
والثقافية، وسأقول لهم:
يا أولاد.. كان عمكم رجلاً
شريفاً، أحب الفلاحين
ونذر حياته من أجلهم
فبادلوه حباً لا يوصف،
وأحب الطلاب والقصابين
والعمال فحفظوا كلماته
على صدورهم، وأحب
الاطفال فكبروا على
رجولته ونموذجه في
الكرامة والأصالة.
وسأقول للأولاد: عمكم
يا أولاد، اسمه شمران
الياسري من سلالة العرب
الأماجد، كان شرفه في
موقفه، فلم يبع كلمته، ولم
يساوم عليها ولم يمدح
حاكماً، ولم يتراخ أمام
جبار، كان إنساناً بكل ما
تعنيه هذه الكلمة، ولذلك
كان يجد أوجاع الفلاحين
العرب تلخص عذابات
وحرمانات الفلاحين في
كل هذه الكرة الأرضية،
فارتبط مع كل انسان
صاحب قضية في مشارق
الأرض ومغاربها!
وسأقول لهم: يا مستقبلي،
واستكمال ماضيّ، كان
عمكم، شمران، صورة
الحياة وجوهرها، وحاضر
الصراع ومستقبله، وقوة
الكلمة واقتدارها الفائق
على الصبر والصمود.
وعندما يسألني الأولاد:
«وأين يوجد عمنا، هذا،
يا أبتاه؟» سأرد عليهم:
في جذور النخيل، في
لقاء العشاق، في بندقية
كل مقاتل فلسطيني في
الفاكهاني عندما كان
يقاوم جنود شارون، في
مذابح صبرا وشاتيلا، في
أرق أغنية كتبها ايلوار،
وفي صوت ناظم حكمت
عندما يحول الشقاة إلى
أبرع رسامي العالم!ولن
أطفىء الشموع، سأبقى
أراقبها وهي تتوقد، تخلق
مساحة من ضوء ونور في
هذا الظلام القبيح الذي
يحيطنا جميعاً، وعندما
يتقدم الليل، سأواجه البحر
وأطلق صوتي بكل ما في
من حيل:
يا شمران
ما أعظم الإنسان: يعيش
حراً، ويموت واقفاً،
ويقول كلمته ضد هذا الليل
الرهيب.
يا شمرانإنتفض يا شمران،
وسر قدُام قبائل كل العرب،
وقل كلمتك «بصراحة» في
وجه كل من يقتل الإنسان
ويشرد المثقفين، ويغتال
الحرية، في أي مكان من
هذه الأرض، فلا عذر،
بعد اليوم، لصامت، ولا
تبرير لكل من يتوانى
عن الإنضمام إلى معسكر
الحرية والسلام!
يا شمران..
تزول المحيطات، وتندك
الجبال الراسيات، وتنطبق
السماوات على الأرض، لكن
صرخة النواب ومحمود
درويش ضد التعسف،
تنتقل من بيت إلى بيت!
وعندما يعلو صوتي،
ويتجمع المارة تحت
شرفتي، ويدخل الجيران
والأصدقاء والمعارف
والأعداء إلى بيتي الذي
سأبقيه مضاء هذا المساء،
سأقول لهم بهدوء: أيها
الناس، ان الربيع يحيط
بكم من كل جانب، والنشيد
الرسالي العظيم يتعالى
في كل أرجاء المعمورة،
والزهور تطلع اليوم من
كل بيت مظلوم، لأن شمران
لم يمت، ولأنه يطلق صوته
الآن بنشيد الفرح العظيم،
معيداً ومؤكداً مسيرة
البشرية باتجاه الحرية
والشمس منذ اسبارتيكوس
وحتى تعود البشرية إلى
طفولتها وعذريتها! سأقول
للجمع كله: صباح الخير
أيها الماضي.. صباح الخير
أيها الحاضر.. صباح الخير
أيها المستقبل.

.. نتذكر ابو كاطع وخلف الدواح

يوسف أبو الفوز

يستقبل الشيوعيون العراقيون وأصدقاؤهم، هذه الأيام، ذكرى صدور «كفاح الشعب» في نهاية تموز ١٩٣٥، كأول صحيفة عراقية تصدر سراً وتحمل اسم الحزب الشيوعي العراقي في صدر صفحتها الأولى.

وفي هذه المناسبة واذ نجد خليقتها «طريق الشعب» اليوم سبيلها بانتظام الى ايدي قرائها الكثيرين، نعود بنا الذاكرة الى العديد من الاسماء اللامعة في الصحافة الشيوعية العراقية، التي ساهمت في رسم ملامحها المشرقة كصحافة وطنية وديمقراطية وتقدمية رائدة، واحتلت موقعها بين رموزها ووجوه الصحافة العراقية باسرها.

من هؤلاء الصحفي والكاتب المبدع شمران الياسري - ابوكاطع، الذي كانت مقالاته على صفحات «طريق الشعب» في سبعينات القرن الماضي، محط متابعة واعجاب وتأثر دائم من جانب قراء الجريدة.

ولا نبالغ إذا قلنا ان الكثير من قراء "طريق الشعب" كانوا يبدأون قراءتهم للجريدة من عمود ابو كاطع، لمعرفة تعليقات "خلف الدواح" وتلميحاته اللاذعة حول تدهور الاوضاع السياسية والاجتماعية في بلادنا.

لم يلجأ ابو كاطع يوما للتنظيرات عند حديثه عن هموم المواطن العراقي، وتدهور الأوضاع في بلادنا. لجأ الى حكايات خلف الدواح، وجعله يتحدث عن محنة الكادحين وسعيهم لتوفير لقمة العيش وسعيهم الى حياة افضل، مستلهما كل ما هو بسيط ومعبر في تراث الريف العراقي، والذي جعل من افكاره تصل الى ذهن المواطن وتحثه على التفكير بمستقبله ومتطلباته.

وحملت حكايات خلف الدواح تلميحات بليغة وجريئة، اثارت حينها غضب مؤسسات النظام، ورموزه، وفي مقدمتهم صدام حسين الذي كان ابانها لا يزال في موقع السيد النائب ، فمارس من موقعه ضغوطا عديدة لإيقاف قلم ابو كاطع وقمع صوت خلف الدواح. يروى عن مصادر من داخل مؤسسة النظام المقبور، ان " السيد النائب " اجتمع يوما الى محرري جريدة " الثورة " وانتقدهم وشتمهم لكون جريدة الحزب الشيوعي، والتي لا يتوفر لها جزء بسيط من الإمكانيات الفنية والمالية المتوفرة لجريدة الثورة، هي دائما اقرب الى نبض الشارع والمواطن..

ما حثني وشجعني على كتابة هذه السطور، انني عثرت في أرشيفي المتواضع على قصاصات من اعداد قديمة من طريق الشعب ، منها قصاصة تحمل سؤالا من قارئ، وجهه لزاوية وصوله خير وسرور في الصفحة الأخيرة، والسؤال يقول: — لن اكذب وكالة الأنباء العراقية ولا الجهة التي تزودها بأسعار الفواكه والخضر (بالجملة) وانا اصدق ما تنشره " طريق الشعب " عن اسعار البيع بالمفرد لهذه الفواكه والخضر... واصدق نفسي حين أجد الفرق ١٥٠٪ وربما ٢٠٠٪ بين الجملة والمفرد... مثال ذلك سعر الرقي بالجملة ٢١ فلس للكيلو وبالمفرد ٥٠ فلس... فاين يذهب الفرق؟

وفي الزاوية ذاتها يجيب ابو كاطع على لسان خلف الدواح :

- الفرق يا معزوز عيني - تسعيرة " الركي " بالجملة يقصدون هوه والكشر، ومعلوم الكشر يعادل ثلثين اللب . وبالمفرد يبيعون " اللب " ولب اللب، هاي اولها وتاليها.

وفي قصاصة ثانية من عدد اخر من " طريق الشعب " وفي زاوية (سلام وبعد السلام) وبتوقيع ابو كاطع نقرأ التالي :

- الى عزيز روحي " الركي " ... لا صباح ولامسا - ولا حتى جلمة " كويسة . هيج كبرت وتكبرت بالعجل" ولك ماكو جبير غير الله، شكثر صار لك بالولاية؟ ولهسا ما تندل بيتنا؟ ميخالف... الله كريم... بطيح الرطب واستافي منك.

ليقر ابو كاطع عينا، فرفاقه وتلامذته متمسكين بعهدهم، ويواصلون العمل باصرار من اجل حياة حرة كريمة لابناء شعبنا العراقي، مخلصين واوفياء لذات المثل

□ ابو كاطع - ١٩٥٩

من مطبخ الجريدة

عفلق = نيكسون

في احدى الليالي كان رئيس التحرير الخفر في طريق الشعب هو الفقيد الراحل شمران الياسري ابو كاطع وكنت اراقب في غرفة مجاورة جهاز التيكر لاستلام الاخبار من وكالات الانباء.

سمعت في الممر ضجة وضحكا وصوت الشهيد سامي العتابي ومرحه لا يزالان يرنان في اذني: رفيق اريد صورة نيكسون للصفحة الدولية وكان الشهيد خطاطا ومصححا في الجريدة.

ولم يجدوا الصورة المطلوبة لرئيس الولايات المتحدة في غرفة الارشيف البسيطة.

وكان الراحل الفقيد زكي خيري يطالع في غرفة رئيس التحرير بهدوء العباقرة. نزع نظارته وقال: شكو اشبيكم؟

ولما عرف الامر تناول حقيبته ووضعها على ركبتيه واخرج منها جريدة ورتبها بحيث تظهر الصورة المطلوبة.

ناولني الجريدة قائلا: هاك رفيق هاي الصورة. تطلعت فاذا بها صورة ميسيل عفلق.

ضحكنا كلنا كثيرا حينها، لاننا نعرف صاحبي الصورتين وابتاعهم، وتساءلنا بالاشارات والاعين والتسمات، فقال الرفيق الراحل والله يا جماعة ماكو فرق اثنينهم نفس الشي!

برهان شاكر

من المحرر

الى والدي

احسان شمران الياسري

يوم ١٩٨١/٨/١٧ توفي المرحوم شمران الياسري/ (أبوكاطع) في حادث سير وهو في الطريق من جيكوسلوفاكيا إلى هنغاريا لزيارة شقيقنا الأكبر المرحوم (جبران) الذي توفي هو الآخر في هنغاريا نهاية عام ٢٠٠١. وانتهت حياة المناضل العراقي (شمران الياسري)، أسطورة العمود الصحفي البارز الذي أسسه بصراحته المشهورة.. ومن سوء الحظ أن يُتوفى خارج العراق، ويكون في العراق نظام لا رحمة في قلبه، فيقرر أصدقائه دفنه خارج الوطن، في لبنان مقبرة الشهداء الفلسطينيين.. ولم يشهد أهله وزوجته وأولاده تغسيله ودفنه، مع إن أصدقاءه الذين جاءوا مع جنازته من (براغ) إلى بيروت متخفين بأسماء وهمية، تولوا تلك المهمة .. وهكذا رقد ذلك الجسد النحيل المترف الأبيض في بيروت، في ضاحيتها يترقب بوابة المقبرة عسى أن يطل عليها أهله أو أصدقائه..

واليوم يستذكر العراقيون مناضلاً مميزاً مثل ((أبوكاطع))، الذي كوّن شخصيته من بين أكواخ الطين في أقاصي ريف الحي، وتتلمذ على يد والدته بمدارس القرآن الكريم والكتاتيب.. ثم دخل بغداد مثقفا واعدا، وليشق طريقه في الصحافة والأدب، وقبل ذلك في النضال..

ومع إن لكل مثقف قصة، فان قصة ((أبوكاطع)) المميزة هي مسيرة حياته بالكامل، التي بدأت خلال العقد الثالث من القرن الماضي، نحو عام ١٩٢٧ في عائلة عريقة ومحافظة، عائلة السيد إبراهيم الياسري، عمه، ووالد زوجته لاحقا.. وهو عميد الأسرة الياسرية وأحد الشخصيات الكبيرة في وسط العراق.

يقول المرحوم (أبوكاطع) انه بدأ الكتابة في الصحف وهو في الريف، ولم يكن قد التحق بعد بمسيرة الشيوعيين الذين (كسروا رقبته) على حد قوله.. فقد بدأ يكتب اشياء عامة، سب خلالها الغرب والشرق!. ثم التحق مع الشيوعيين في الطريق الوعر مطلع خمسينيات القرن الماضي (وقبل ان يبصر النور داعيكم!)..

وعندما فتحت وزارة التربية مدرسة حمورابي الابتدائية في مشروع الدجيلة، اخذ يتردد على المعلمين فيها وعقد معهم صداقات واتفاقات لأخذ محاضرات في اللغة الإنكليزية وبعض المفردات الأخرى.. واستطاع أن يجتاز امتحانات المراحل الدراسية بسهوله.. وقد كان الأستاذ (بهجت ياسين) والأستاذ (حسين الربيعي) أطال الله أعمارهم ومتعنا بوجودهم، أساتذة المرحوم الوالد في خمسينيات القرن الماضي..

وبعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ انتقلنا إلى بغداد حيث كانت الأبواب أوسع لصاحب الذكرى في الصحافة والإذاعة، وبدأت إذاعة برنامجه المشهور (أحجيها بصراحة)، الذي أسس كما اعتقد، ويعتقد عدد آخر من الناس، للإعلام والأدب النابع من الريف.. فقد تحدث ((أبوكاطع)) في ارفع المنابر الإعلامية بلغة الريف المؤثرة، التي لا تبتعد كثيرا عن لغة الشعب في كل مكان.. فاجتذبت ملايين المستمعين لبرنامجه.. يقول الأستاذ (فلك الدين كاكه يي)، وزير الثقافة في كوردستان، إن الكورد كانوا ينتظرون إذاعة البرنامج كما ينتظرها فلاحوا الجنوب والوسط، وينتظرها أهل المدينة..

بمعنى إن مثقفا في الثلاثين من عمره لمع في العراق في المرحلة التي أنتجت خيرة مثقفي العراق وشعراءه وحملة لواء الفكر.. فعاصر الجواهري والبياتي ومن هم بوزنهم.. وكانت نشرة صحفيي العراق تبدأ بالجواهري الكبير، ثم بالأستاذ جعفر قاسم حمودي، ثم شمران الياسري. وكانت اكبر مساهمات المرحوم ((أبوكاطع)) في فترة الجمهورية الأولى هي جهوده في التبشير لقرارات الإصلاح الزراعي، وإجراءات تفتيت الملكية الزراعية، التي طالت كبار الإقطاعيين.. ولكم أن تتصوروا حجم الإحراج الذي وقع فيه السيد (إبراهيم الياسري) عندما اعتقد اقطاعيوا الكوت إن قرارات الإصلاح الزراعي وإجراءات المصادرة للأراضي هي من صنع السيد (شمران)، ومن وراءه عمه السيد (إبراهيم).. خصوصا وان السيد إبراهيم كان من صغار الإقطاعيين الذين طالتهم الإجراءات..

ولقد واجه (أبوكاطع)، مثلما واجه الشيوعيون محنة العلاقة مع الزعيم الراحل (عبد الكريم قاسم) رحمه الله.. فالمرحوم قاسم كان محبوبا من العراقيين.. وكان الشيوعيون هم حراس النظام والذائدين عنه.. ولكن الزعيم كان (يمون) كثيرا عليهم، فيزج هذا في السجن، ويسمح للأمن بملاحقتهم، فدفعوا ثمنا كبيرا من حبهم وولاءهم له.. وهكذا ألقي المرحوم (أبوكاطع) مع عشرات المثقفين العراقيين في السجون بسبب الوثيقة التي وقعوها لنصرة القضية الكوردية.. واضطررنا للعودة إلى الريف بانتظار إطلاق سراحه. وقد ظل في السجن نحو سنة، وأطلق سراحه قبل انقلاب شباط ١٩٦٣ الأسود بشهرين. وواجه مجددا محنة التصرف إزاء الإحداث الدامية التي وقعت في البلاد صبيحة ذلك اليوم الرمضاني المرعب. فاختبأ في بيوت أعمامي في بغداد نحو أربعة أشهر، ثم نقل إلى ريف الكوت بوساطة سائق مغامر سلك طرقا عجيبة لإيصاله هناك. وفي مطلع شباط من ذلك العام، أتيحت لي فرصة لزيارة بيروت، تلك المدينة التي لا تعرف بحرها من جبلها من ضاحيتها.. وأول ما فكرت به وأنا أضع قدمي في مطار رفيق الحريري الدولي هي المقبرة، التي تحتضن بثقة وصمت ذلك الجسد النحيل لصاحب الشخصية القوية التي أفزعت صراحتها ذهنية الرقيب في القرن الماضي. وبعد بحث غير طويل وصلت إليها، ليتحقق الحلم بعد ربع قرن من انتظارنا وغربة الجسد.. بعد ربع قرن من الشوق إلى الوالد والصديق والمعلم. لقد وصلتها تحت المطر.. لم تكن مقبرة.. كانت حديقة أو متنزه، غمرته أزهار الربيع البرية قبل أن يطل الربيع.. كان الضريح في نهاية المقبرة، بين حشد الشهداء، يجمعهم صمت الشهادة المهيب، ووقار الموت. قلت: هذا أبي. كانت قطعة الحجر التي تغطي قبره تماثل كل القطع التي تغطي قبور رفاقه الشهداء: (ضريح الشهيد شمران الياسري.. مواليد..... استشهد ١٩٨١).. وتركوا تأريخ ميلاده فارغا.. ونزلت الدموع بين ثنايا الكبرياء والتكبر.. لم ارغب البكاء، ولم يسعفني بالأحرى. فهذا موقف فريد لرجل فريد.. والبكاء يضيع فرصة القوة التي يمكن أن ندعيها في لقاء ربما لن يتكرر.. لقد شغلتني بهجة اللقاء على مرارته، من التفكير به ميتا.. بل تصورته حاضرا يجلس على مكتبه، يدخن (البايب)، ويكتب عموده اليومي، ويدندن بعض الكلمات أو المقاطع غير المكتملة لإحدى الأغنيات. وشغلتني أزهار الربيع الفاتنة، وجمال المكان، عن التفكير بالحزن الذي ينتاب الأحبة وهم يقفون أمام الأضرحة الغالية. ولما انتهيت من قراءة سورة الفاتحة المباركة عشرات المرات بأسماء أهلي وأصحابي الذين استودعوني أمانة قراءتها في حضرة ضريحه، وقفت ابكي بعد أن شبعت من استيعاب المكان، واستوعبت حقيقة موته أمام قبره الذي غمرته أزهار الربيع.. ومع إنني رأيت هذا، فقد رأيت شيئا آخر.. إن مساحة المقبرة محدودة، وقد بدأ (الدافنون) يزيحون بعض القبور التي لا يراجع أهلها، ويدفنون محلها موتى جدد.. وقد أفزعتني هذه اللقطة المخيفة من مصير الضريح الغالي للمرحوم ((أبوكاطع)).. وفكرت لأول مرة في نقله إلى العراق، بعد أن اعتبرنا إن دفنه في لبنان هو جزء من المصير الذي كتبه له الباري عز وجل، ولم نفكر في نقل الجثمان إلا عند هذه الظروف. ولأن (أبوكاطع) هو جزء من موروث الشعب العراقي ومصدر

> ولقد واجه (أبوكاطع)، مثلما واجه الشيوعيون محنة العلاقة مع الزعيم الراحل (عبد الكريم قاسم) رحمه الله.. فالمرحوم قاسم كان محبوبا من العراقيين.. وكان الشيوعيون هم حراس النظام والذائدين عنه.. ولكن الزعيم كان (يمون) كثيرا عليهم، فيزج هذا في السجن، ويسمح للأمن بملاحقتهم، فدفعوا ثمنا كبيرا من حبهم وولاءهم له.. وهكذا ألقي المرحوم (أبوكاطع) مع عشرات المثقفين العراقيين في السجون بسبب الوثيقة التي وقعوها لنصرة القضية الكوردية